عموما · وكانوا يعملون في أشق الاعمال ويأبخس الاجور في يافا وفي حيفا وفي القدس وفي اللد والرملة وغيرها ·وكانوا يبيتون في الخرائب ووراء جدران الابنية التي لم يتموا تشييدها وعلى قارعات الطرق ·

وفي مستهل حياتي السياسية والادبية ـ وكلاهما امر واحد ـ نشرت قصة قصيرة عن حادث واقعي جرى امام عيني في العام ١٩٤١ : عن سيارة ضخمة ، شبيهة بناقلة الدبابات ، كانت تعبر « شارع الملوك » بحيفا وقد امتلأت بالقمح · وكان القمح يتسرب منها الى ارض الشارع ، حبات حبات ، كما ترشح قطرات الماء من شربة فخار · فاذا بشاب « غزاوي » ، في مثل سني آنذاك (١٩ عاما) يركض وراءها محاولا ان يلتقط حبات القمح· ثم حاول القفز على ظهر السيارة· فوقع بين عجلاتها · فاختلط دمه بحبات القمح الذهبية · واما السيارة الضخمة، الشبيهة بناقلة الدبابات ، فظلت تنهب بعجلاتها المطاطية « شارع الملوك » الذي اصبح اسمه اليوم ، في « دولة اسرائيل » ، « شارع الاستقلال » ! حتى غابت عن انظارنا وابتلعتها المدينة الصاخبة ·

واخذت لهذه القصة عنوان « قمح ودم » !

لقد تبددت اوراق المجلة التي نشرت فيها هذه القصة · فأضعت كل اثر لها · وظللت عبثا ، ابحث عنها ثلاثين عاما حتى التقيت اصحابها ، مرة اخرى وبعد ثلاثين عاما !

قمح ودم ··· ارض ودم ··· شعب يعيش في دوامة دم ··· تطحنه وتطحنه ·

ولكنه باق ولا يفنى ·

٢ ـ باق ولا يفنى

ان هذه الحقيقة الضخمة ، عن ان هذا الشعب يأبى الفناء ، تزداد شموخا وسطوعا وادهاشا ، حتى كأنها « المعجزة » ، كلما تعمقنا في اغوار المأساة التي ابتلى بها هذا الشعب وكشفنا عن القوى السوداء التي خططت مؤامرة القضاء عليه ومحوه من الوجود ·

وهذه الحقيقة ، المعجزة ـ وكم من شعب اجترح المعجزات بنضاله وتضحياته وبدأبه ـ قد نبهتني اليها عيون العمال « الغزازوة » الذين التقيتهم في ذلك اليوم البائس ، في ساحة العجمي بيافا بعد غياب ثلاثين عاما ، كما نبهت نيوتن التفاحة الساقطة فوق رأسه الى جاذبية الارض ·

عيونهم هذه هي التي دفعتني ، فيما بعد ، الى كتابة القصة عن « الوقائع